الفصل الاول

العلوم الاجتماعية متى وكيف تكون انسانية بغير فوارق أو حدود

- انسانية العلوم الاجتماعية
- ضرورة تجاوز الحدود التقليدية بين العلوم الانسانية
- أى العلوم يمكن أن توصف بالاجتماعية
- العلوم الاجتماعية والعلوم التاريخية
- المنهجية ومبدأ التساند يرفضان تقسيم العلوم الاجتماعية

العلوم الاجتماعية متى وكيف تكون انسانية بغير فوارق أو حدود

●

انسانية العلوم الاجتماعية :

الاتجاه العالمى المعاصر اليوم ينهض على أساس تجاوز الحدود التقليدية التى كانت تفصل ما بين العلوم التى اصطلح على تسميتها بالاجتماعية ، وتلك التى اصطلح على تسميتها بالانسانية ، ويرتكز هذا المزج على أساس أن الظواهر الاجتماعية انما تتوقف بالدرجة الاولى على الصفات الانسانية وسلوكياتها ، كما أن العلوم التى تدرس سلوكيات الانسان هى بالضرورة اجتماعية بحكم أن ذلك الانسان يحيا ويتفاعل فى مجتمع ٠

●

ضرورة تجاوز الحدود التقليدية بين مختلف العلوم الانسانية :

ومن هنا ٠٠ سوف نطلق مصطلح « العلوم الاجتماعية » على العلوم التى تهتم بدراسة الطبيعة البشرية العامة سواء من خلال مظهرها الفردى أو مظهرها الجماعى ، كما أن هذا المصطلح سوف يكون قاصرا على ذلك النوع منها الذى يرتكز فى دراسته لتلك الطبيعة البشرية على القوانين أو النظريات الاجتماعية العلمية ، والقوانين والنظريات كمقوم لتلك العلوم قد تكون موجودة بالفعل ، أو تسعى تلك العلوم الى تطويرها أو ابتكارها ٠

وصفة العلمية هنا تكمن فى ارتكاز أو انطلاق تلك العلوم من القوانين ـ سواء فى حالة الوجود أو الابتكار ـ التى تعبر عن نفسها اما فى شكل

علاقات « كمية » تتسم بالثبات النسبى والقادرة على التعبير عن نفسها رياضيا ، أو تعبر عن نفسها فى شكل وصفى منطقى معتمدة على اللغة كوصف للعلاقات وللوقائع وكتعبير عن مختلف التحليلات والتفسيرات المتصلة بتلك القوانين أو المترتبة عليها ٠

●

أى العلوم يمكن أن توصف بالاجتماعية ؟

هذا وتعتبر بعض المصادر أن العلوم التى يمكن وصفها بالعلمية فى اطار العلوم الاجتماعية هى فقط علوم الاجتماع والنفس والانثربولوجيا والاقتصاد والسكان واللغة ، واعتبرتها هى وحدها **العلوم** التى يتتابع البحث خلالها عن قوانين حتى وان تميزت تلك القوانين بالاهتمام بالتكرارية فقط ، الا أنها ـ أى تلك القوانين ـ تعد دليلا على اتجاهها نحو العمومية التى تمكنها مستقبلا من الانتظام فى أطر للتصنيف وللمقارنة مع العلوم الطبيعية أو الحيوية الاخرى ٠

●

العلوم الاجتماعية والعلوم التاريخية :

ويفرق البعض بين نوعين من العلوم الانسانية ، أولهما ما أطلق عليه العلوم **الاجتماعية** وبالتحديد الذى ذكرناه قبلا ، وثانيهما ما أطلق عليه العلوم التاريخية ، ويرون أن هذه العلوم **التاريخية** انما تسعى الى اعادة تأليف « انبساط » كافة مظاهر الحياة الاجتماعية فى مجرى الزمن ، مع سعيها لفهم ذلك « الانبساط » ، ويرون ان التاريخ سواء أكان سير أفراد أو آثار أو أفكار ، ذو **تأثير** على الآداب أو الفنون أو الفلسفة أو الاديان أو حتى على الحضارة برمتها ، فانه ـ أى التاريخ ـ يغطى كل ما يتصل بالحياة المجتمعية التى يمكن عزلها بعضها عن البعض الآخر على الرغم من تكافلها فى العديد من الجوانب ٠

ويبنى أصحاب هذا الاتجاه دعواهم في **الفصل** بين العلوم الاجتماعية

والتاريخية بطرح قضية هامة مؤداها ٠٠ هل تؤلف العلوم التاريخية مجالا مستقلا قابلا للاتصاف بخصائص وضعية ونوعية ٠٠ أم أن تلك العلوم التاريخية تنصب فقط على البعد التطورى الخاص بكل علم من العلوم الاجتماعية ـ أو الناموسية ـ أو الحقوقية أو الفلسفية ؟ !

ويرى هؤلاء أن وجود العلوم التاريخية ٠٠ هو وجود **مؤقت** لا تابث بعده ان آجلا أو عاجلا أن تحل فى الفئات الاخرى وهى العلوم الاجتماعية ٠

كما يرى أصحاب هذا الاتجاه أيضا ، أن العلوم القانونية تعتبر هى الاخرى ذات خاصية مستقلة عن العلوم الاجتماعية بحكم أن الحق ـ وهو موضوع دراسة العلوم القانونية ـ يؤلف **منظومة** مستقلة من المعايير التى تختلف بطبيعتها عن العلاقات العامة التى تحكم مجال البحث فى العلوم الاجتماعية ٠

كما لا يعتبر أصحاب هذا الاتجاه **الفلسفة** ضمن العلوم الاجتماعية باعتبار أن الفلسفة على اختلاف مدارسها تستهدف الوصول الى تنسيق عام للقيم الانسانية ، ويرون أن الفلسفة تقيم تصورا للعالم لا يراعى المعارف المكتسبة ونقد المعارف فقط ، وانما يضم ـ أى ذلك التصور ـ قناعات الانسان وقيمه المتعددة فى كل فاعلياته ، ويرون أن الفلسفة من هذا المنطلق انما تتعدى العلوم الوضعية وتحدد مكان هذه العلوم بالقياس الى مجموعة من التقويمات والدلالات التى تمتد من الممارسة الى الميتافيزيقة ٠

ويرون أيضا أن أهم ما يميز العلوم الاجتماعية بالمفهوم الذى حدد من قبل هو تميزها **بمنهج** بحث ، والمقصود بمنهج البحث هنا ٠٠ استخدام طرائق تتصل اما بالتجريب الدقيق كما تعرفه العلوم الحيوية وبعض البحوث الجارية فى علم النفس ، أو بالتجريب بمعناه الواسع المتضمن فى الملاحظة المنهجية المقترنة بالتحريات الاحصائية وتحليل التباين وضبط علاقات التضمن من خلال تحليل الامثلة المضادة ، ومع **التسليم** بصعوبة التجريب خاصة بمعناه الدقيق ، الا أن التجريب خاصة من منظوره الواسع يؤلف

أهم صفة مميزة لتلك العلوم الاجتماعية والتى لا تتوافر للعلوم الاخرى سواء منها التاريخية أو القانونية أو الفلسفية (١) (*) ٠

●

المنهجية ومبدأ التساند لا يقران تقسيم العلوم الاجتماعية :

ونحن **نختلف** مع هذه الآراء ونتفق معها ، نختلف فى قصرها للعلوم الاجتماعية كمفهوم على ما اسمته بالعلوم « الناموسية » **ونقصد** بها الاجتماع والنفس والانثربولوجيا والاقتصاد والسكان وعلم اللغة ، نختلف معها لأنها اعتبرت السياسة والتاريخ والقانون خارج دائرة العلوم الاجتماعية فى ذات الوقت الذى اعتبرت فيه اللغة أحد مكونات العلوم الاجتماعية على الرغم من أنها لا تملك مقومات المنهج التجريبى حتى بمفهومه الواسع كالتاريخ تماما وان كان كل من التاريخ واللغة يتميز بمنهج خاص فى البحث (**) ٠

ونتفق معها فى اخراج الفلسفة عن دائرة العلوم الاجتماعية ، وفى تميز العلوم الاجتماعية بصفة « الناموسية » المرتكزة على منهج يصطنع التجريب والملاحظة ، ويتخذ لنفسه العديد من طرق « التحرى » التى يتم خلالها اخضاع المخططات النظرية لرقابة وقائع التجربة ، بما يضعها - أى العلوم الاجتماعية - على نفس **مكانة** العلوم الطبيعية والحيوية خاصة من حيث انطلاقها للبحث وفقا لقوانين مسبقة ، أو فى سبيل سعيها لاكتشاف وصياغة تلك القوانين ٠

ونحن لم نختلف أو نتفق حبا لمبدأ الخلاف أو الجدل العلمى ، وانما نتج الاختلاف أو الاتفاق من منطق **تساندى** لا تفرضه فقط طبيعة الدراسة

(*) هذه الآراء اوردها Janne Piaget استاذ العلوم الاجتماعية بجامعة جنيف ، ضمن مقالته عن « وضعية العلوم الانسانية ضمن اطار العلوم » ولقد نقلناها عنه بتصرف ، انظر المصادر ٠

(**) اغفل ذكر علم السياسة تماما على الرغم من اعتباره أحد العلوم الاجتماعية لدى الكثيرين مع تميزه بمنهج واضح للبحث - انظر كتابنا - مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية٠

فى العلوم الاجتماعية والانسانية ، وانما تفرضه أيضا طبيعة المنهجية التى اتفقنا أنها تميز العلوم الاجتماعية خاصة بمفهومها « الناموسى » ومن منظورها الواسع للتجربة خصوصا وأن كثيرا من تلك العلوم تتداخل أو تنبثق عنها علوم فرعية كثيرة تشكل فى معظمها نقاط لقاء لا نقاط خلاف وعلى النحو الذى أوضحناه ضمن كتابنا « علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية » ٠٠(٢) ، حيث توجد هناك على سبيل المثال - علوم الاجتماع النفسية والتاريخية والقانونية والسياسية والاقتصادية ٠٠ الخ ، وفى المقابل ظهر علم النفس الاجتماعى ، كما برزت مجالات جديدة للبحث فى عدد من العلوم الاجتماعية منها على سبيل المثال علم الجريمة وعلم الاجتماع البدوى ٠٠ وما اليها (٣) ٠

***

المصـــادر والتعليقـات

---

(١) انظر :

J. Piaget, Dans, Tendances Principales de la recherche dans les sciences sociales et humaines, Partie 1, Sciences Sociales (c) Unesco, 1970.

(٢) للاستزادة انظر :

(أ) دكتور صلاح الفوال ـ علم الاجتماع ، المفهوم والموضوع والمنهج ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ٠

(ب) دكتور صلاح الفوال ـ علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ٠

(٣) كان لنـا شرف السـبق فى الكتابة لأول مرة عن علم الاجتمـاع البدوى ـ انظر :

دكتور صلاح الفوال ـ علم الاجتماع البدوى ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ ٠

***